۞ وفي هذه الآيةِ واللواتي قبلَها دليلٌ على أنَّ العبادةَ هي التوحيدُ، لأن الخصومةَ فيه، وإلا فكان المشركون يعبدون اللهَ ويعبدون غيرَه، فأُمِروا بالتوحيد، وهو عبادةُ الله وحدَه، وتَركُ عبادة ما سواه[1]. [٥٨]

[شرح٥٨] قوله: «الخصومة فيه» المقصود الخصومة بين الأنبياء وأممهم في توحيد العبادة لله، فليس المقصود الخصومة في الله ربهم، فهم يعرفون ربهم، فالخصومة كانت في تخصيص الله بالعبادة؛ لأنهم كانوا يعبدون الله، ويحجون، ويتصدقون، ويبرون والديهم، ويدعون الله في الشدة، ويخلصون له العبادة، وتلك أنواع من العبادة، ولكن المعنى في التشريك.

---

(١) ص٣٨.

۞ وفيهنَّ دليلٌ على أن التوحيدَ أوَّلُ واجبٍ على المكلَّف، وهو الكفرُ بالطاغوتِ، والإيمانِ بالله المستلزمِ لعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ مَن عَبَدَ غيرَ الله بنوعٍ من أنواع العبادةِ فقد أشركَ، سواء كان المعبودُ ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو صنماً.

قال ابنُ مسعود: مَن أراد أن ينظرَ إلى وصيَّة محمدٍ ﷺ التي عليها خاتَمُهُ فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣] (١).

ابنُ مسعودٍ: هو عبدُ الله بنُ مسعود بنِ غافِلٍ ـ بمُعجَمةٍ وفاءٍ ـ بنِ حبيبٍ الهُذَليّ، أبو عبد الرحمن، صحابيٌّ جليلٌ من السابقين الأولين، وأهلِ بدرٍ، وبيعةِ الرِّضوان، ومن كبارِ العلماء من الصحابة، أَمَّرَهُ عمرُ على الكوفةِ، ومات سنة اثنتين وثلاثين. =

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٠٥٦)، والطبراني في «الأوسط» (١١٨٦) وفي «الكبير» (١٠٠٦٠).

= وهذا الأثرُ رواه الترمذيُّ وحسَّنه، وابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم، والطبرانيُّ بنحوه، ورواه أبو عُبيد وعَبدُ بنُ حُميدٍ، عن الربيع بن خُثَيم[1].

قال بعضُهم ما معناه: أي: مَن أرادَ أن ينظرَ إلى الوصيةِ التي كأنَّها كُتِبَت وخُتِمَ عليها ثم طُوِيَت، فلم تُغيَّر ولم تُبدَّل؛ تشبيهاً لها بالكتابِ الذي كُتِب، ثم خُتِم عليه فلم يُزَد فيه، ولم يُنقَص؛ لأن النبيَّ ﷺ كَتبَها وختمَ عليها، وأوصى بها، فإن النبيَّ ﷺ لم يوصِ إلا بكتابِ الله، كما قال ـ فيما رواه مسلم ـ: «وإنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتُم به لن تَضِلُّوا: كتابَ الله»[2].

قلت: وقد روى عُبادةُ بنُ الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكُم يبايعُني على هؤلاءِ الآياتِ الثلاث؟» ثم تلا: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١] حتى فرغ من ثلاثِ آياتٍ، ثم قال: «مَن وَفَى بهنَّ فأجرُه =

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم: الحج (١٢١٨).

= على الله، ومَن انتقصَ منهنَّ شيئاً فأدركَه اللهُ في الدُّنيا كانت عقوبتُه، ومَن أخَّره إلى الآخرةِ كان أمرُه إلى الله، إن شاءَ أخذَهُ، وإن شاءَ عفا عنه» رواه ابنُ أبي حاتم والحاكمُ وصحَّحه[١]، فهذا يدلُّ على أن النبيَّ ﷺ يعتني بهنَّ، ويبالغُ في الحثِّ على العملِ بهنَّ[٢]. [٥٩]

[شرح٥٩] وهذه الآيات مثل ما تقدم قد اشتملت على أوامر ونواه، ثم قال بعدها الرب: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فدل على عظم شأنها وأنها مشتملة على صراط الله المستقيم، إذ صراط الله هو اتباع الأوامر وترك النواهي.

والآيات ذكر فيها جملة من الأوامر وجملة من النواهي، فصراط الله سبحانه المستقيم، هو الأخذ بالأوامر وترك النواهي عن إخلاص، وعن إيمان، وعن رغبة ورهبة، هذا هو صراط الله =

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٠٧٧)، والحاكم في «المستدرك»: التفسير (٢/ ٣١٨). وانظر «مسند أحمد» (٥/ ٣١٤).

(٢) ص٣٨-٣٩.

.....

= المستقيم، وأعظم من ذلك توحيده، والإخلاص له، وترك الإشراك به، ثم تطيع الأوامر الأخرى التابعة للتوحيد، وتترك النواهي التابعة للشرك.

فالمعاصي فروع الشرك والكفر، والطاعات فروع التوحيد والإيمان، فصراط الله المستقيم، وتوحيد الله، والإخلاص له، وترك النواهي، وفعل الأوامر، فعل أوامر الله كالصلاة وما بعدها، وترك نواهي الله من العقوق والقطيعة والقتل واليمين الغموس ونحو ذلك مما جاءت به النصوص، وهذا هو صراط الله المستقيم، أوامر تنفذ، ونواهٍ تترك عن إيمان صادق، وعن إخلاص لله، وعن متابعة صادقة للرسول عليه الصلاة والسلام، هذا هو صراط الله المستقيم، من سار عليه نجا، ومن تخلف عن ذلك هلك.

وفي «الصحيح» عن عبد الله بن أبي أَوفَى أنه سئل: هل أوصى رسول الله؟ قال: نعم، أوصى بكتاب الله[1].

فالنبي ﷺ أوصى بكتاب الله، ووصيته التي كأنها ختمت لو =

(١) أخرجه البخاري: الوصايا (٢٧٤٠)، ومسلم: الوصية (١٦٣٤).

.....

= وقعت لم تخرج عن هذا، فإنه إنما يوصي بكتاب الله، وما دلَّ عليه كتاب الله، وما يرضي الله ﷻ، وقد هَمَّ أن يوصي وقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً» فاختلفوا وكثر اللغط، عندها قال بعضهم لبعض: إن الرسول ﷺ قد شغله المرض، وقال بعضهم: ائتوه بكتاب، فلما رآهم اختلفوا أمر بإخراجهم وقال: «ما ينبغي عند نبي تنازع»[(١)].

ثم أفاق من ذلك المرض ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يقدر له أن يكتب هذا الكتاب لحكمة بالغة، فلم يطلب الكتاب بعد ذلك، ولم يكتب الكتاب بعد ذلك، وفي كتاب الله ما يكفي، وفي سنته التي رواها عنه أصحابه وحفظوها عنه ما يشفي ويكفي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولكنه وصَّى في آخر حياته ﷺ بالصلاة وبالعناية بملك اليمين[(٢)] وبإخراج المشركين من الجزيرة وبإجازة الوفد كما كان يجيزهم ﷺ[(٣)] =

(١) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٣١)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه: الجنائز (١٦٢٥)، وأحمد (٦/ ٢٩٠).

(٣) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٣٠٥٣)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧).

obeikandl.com

.....

= وأوصى بكتاب الله ﷻ[١].

فالنبي أوصى بالقرآن العظيم فهو طريق السعادة وهو حبل الله المتين، فالمقصود أنه أوصى بأشياء في آخر حياته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعند خروج روحه، ومن ذلك أنه أوصى بالحذر من التأسي باليهود والنصارى واتخاذ المساجد على القبور، فقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا[٢].

وهنا شيء يجب التنبيه عليه، وهو أن كلام ابن مسعود هذا له أسباب، كما تقدم اختلافهم فيه، فهل أتوا بكتاب يوصي فيه أم لا؟ وجاء في الحديث الصحيح أن ابن عباس قال: إن الرزِيَّة كُلَّ الرزِيَّةِ ما حالَ بين الرسولِ ﷺ والكتاب[٣] ، فعند هذا قال ابن مسعود ما قال من هذه الكلمات، وأن عدم الكتاب ليس فيه شيء من المصيبة، وأن ربنا حكيم جل وعلا، لو شاء ﷻ لكتب هذا الكتاب.

ثم إن النبي ﷺ أفاق من المرض الذي قال فيه ما قال، فإنه قال =

(١) أخرجه مسلم: الحج (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٣٧)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٠).

(٣) أخرجه البخاري: المغازي (٤٤٣٢)، ومسلم: الوصية (١٦٣٧)(٢٢).

.....

= هذا في يوم الخميس حين اشتد به المرض، ثم أفاق وبقي يوم الجمعة والسبت والأحد، وهو والحمد لله جيد وطيب الصحة، ثم اشتد به المرض يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلم يطلب كتاباً يوم الجمعة، ولا يوم السبت، ولا يوم الأحد بعد ذلك من شدة المرض، ولم يكتب شيئاً في هذا الخصوص.

obeikandl.com

۞ وعن معاذِ بنِ جبلٍ، قال: كنتُ رَديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ، فقال لي: «يا معاذُ أَتدري ما حقُّ الله على العبادِ، وما حقُّ العبادِ على الله؟» فقلت: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: «حقُّ الله على العبادِ أن يعبدُوه ولا يشرِكوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على الله ألا يعذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئاً» فقلت: يا رسولَ الله، أفلا أُبَشِّر الناسَ؟! قال: «لا تُبشِّرْهُم فيتَّكِلُوا»، أخرجاه في «الصحيحين»[1].

هذا الحديثُ في «الصحيحين»، وبعضُ رواياته نحو ما ذَكَر المصنِّفُ.

ومعاذُ هو معاذُ بنُ جبلِ بنِ عمرِو بن أَوْسٍ الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ، أبو عبدِ الرحمن، صحابيٌّ مشهورٌ من أعيانِ الصحابةِ، شهدَ بدراً وما بعدَها، وكان إليه المنتهَى في العلمِ بالأحكامِ والقرآنِ ﷺ، مات سنة ثمان عشرةَ بالشامِ[2]. [٦٠]

[شرح٦٠] طاعون عَمَواس قد وقع بالشام وحصل به موتٌ شديد، =

(١) أخرجه البخاري: الجهاد والسير (٢٨٥٦)، ومسلم: الإيمان (٣٠).

(٢) ص٣٩.

.....

= مات به جمع غفير من الصحابة وغيرهم، مات معه أيضاً في هذا الطاعون أبو عبيدة ابن الجراح، ومات فيه أيضاً يزيد بن أبي سفيان الأمير، مات جماعة من الصحابة وغيرهم في هذا الطاعون، وهو شهادة للمؤمن.

obeikandl.com

۞ قولُه: (كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ) فيه جوازُ الإردافِ على الدابَّة، وفضيلةٌ لمعاذٍ من جهةِ ركوبِه خلفَ النبيِّ ﷺ.

قوله: (على حمارٍ) في رواية: اسمه عُفَيرٌ، بعين مهملةٍ مضمومة، ثم فاءٍ مفتوحةٍ.

قال ابنُ الصلاح: وهو الحمارُ الذي كان له ﷺ، قيل: إنَّه ماتَ في حجَّةِ الوَداعِ.

وفيه تواضعُه ﷺ للإردافِ، ولركوبِ الحمارِ؛ خلافَ ما عليه أهلُ الكِبْرِ[1]. [٦١]

[شرح٦١] وتواضعه ﷺ أمر معلوم ومشهور، ومن ذلك ركوبه الحمار، فإن كثيراً من الناس لا يستحسن ذلك، ويأنف من ركوب الحمر، والنبي ﷺ ركب الحمار، وركب البغل، وركب الفرس، وركب المطية: الناقة، وركب هذا كله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهو سيد المتواضعين وأشرفهم وإمامهم، عليه الصلاة والسلام.

ومن تواضعه أيضاً إردافه، فإن كثيراً من الناس لا يستحسن =

---

(١) ص٣٩-٤٠.

.....

= ويأنف من أن يكون له رديف على دابته، ومع هذا هو أردف ـ عليه الصلاة والسلام ـ أردف معاذاً، وأردف غير معاذ في قصص كثيرة، وركب معه بعض أولاد أولاده وأقاربه، مرة كان راكباً معه الحسن أو الحسين وعبد الله بن جعفر أحدهما أمامه والآخر خلفه[1].

فقد كان من سنته وطريقته ﷺ التواضع، وخُلقه التواضع، عليه الصلاة والسلام، ومن ذلك محادثته لرديفه كما حدَّث معاذاً، وتكلم مع غيره أيضاً، فكان يخاطب ويحادث ويفيد، كل هذا من تواضعه ﷺ وحسن خلقه، اللهم صلِّ وسلِّم عليه.

وفيه أيضاً من الفوائد جواز ركوب الحمار، وطهارة ظهر الحمار، وعرق الحمار فإنه قد يركب الرسول ﷺ وليس على ظهر الحمار شيء، ودل ذلك على جواز ركوب الحمار مطلقاً.

ودل ذلك أيضاً على جواز الإرداف على الدابة، ولا بأس أن يكون عليها شخصان أو ثلاثة إذا كانت تطيق، وليس بها بأس إذا =

(١) أخرجه مسلم: فضائل الصحابة (٢٤٢٨).

.....

= كانت قوية فلا بأس*.

* س: هل أردف إحدى زوجاته؟

ج: نعم، صفية اصطفاها يوم خيبر وحجبها وأردفها[1].

(١) أخرجه مسلم: النكاح (١٤٢٧) (٨٧).

obeikandl.com

۞ قولُه: «أتَدْري ما حقُّ الله على العبادِ» الدِّرايةُ: هي المعرفةُ، وأَخرج السؤالَ بصيغةِ الاستفهام ليكونَ أَوقَعَ في النفس، وأَبلغَ في فَهْم المتعلِّم، فإنَّ الإنسانَ إذا سُئِلَ عن مسألةٍ لا يعلمُها ثم أُخبِر بها بعدَ الامتحان بالسُّؤال عنها، فإنَّ ذلك أَدْعى لفهمِها وحفظِها، وهذا من حُسْن إرشادِه وتعليمِه ﷺ.

وحقُّ الله على العبادِ هو ما يستحقُّه عليهم ويجعلُه مُتحتِّماً، وحقُّ العبادِ على الله معناه: أنه مُتحقِّقٌ لا مَحالةَ، لأنه قد وَعَدَهم ذلك جزاءً لهم على توحيدِه، ووَعْدُه حقٌّ إنَّ الله لا يُخلِف الميعادَ.

وقال شيخُ الإسلام: كونُ المطيعِ يستحقُّ الجزاءَ هو استحقاقُ إنعامٍ وفضلٍ، ليس هو استحقاقَ مُقابَلةٍ كما يستحقُّ المخلوقُ على المخلوقِ، فمِن الناس مَن يقولُ: لا معنى للاستحقاقِ، إلا أنه أَخبرَ بذلك ووَعْدُه صِدْق، ولكنَّ أكثرَ الناس يُثبِتُون استحقاقاً زائداً على هذا كما دلَّ عليه =

= الكتابُ والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٨]، ولكنَّ أهلَ السُّنة يقولون: هو الذي كَتَب على نفسِه الرَّحمةَ، وأَوجَبَ هذا الحقَّ على نفسِه لم يُوجِبْه عليه مخلوقٌ، والمعتزلةُ يَدَّعُون أنه واجبٌ عليه بالقياسِ على الخَلْق، وأنَّ العبادَ هم الذين أَطاعُوه بدون أن يَجعلَهم مُطِيعينَ له، وأنهم يَستحقُّون الجزاءَ بدونِ أن يكونَ هو الموجِبَ، وغَلِطُوا في ذلك، وهذا البابُ غَلِطَت فيه القَدَريَّةُ والجَبْريَّة أتباعُ جَهْم، والقَدَريةُ النافيةُ.

قوله: «فقلتُ: اللهُ ورسولُه أَعلَمُ» فيه حسنُ أَدبِ المتعلِّم، وأنه يَنبَغي لمن سُئِلَ عمّا لا يَعلَمُ أنْ يقولَ ذلك، بخِلَاف أَكثرِ المتكلِّفين.

قولُه: «أن يعبدُوه ولا يشرِكُوا به شيئاً» أي: يوحِّدوه بالعبادة وحدَه ولا يشركُوا به شيئاً، وفائدةُ هذه الجملة: بيانُ أن التجرُّدَ من الشركِ لا بدَّ منه في العبادةِ، وإلا فلا يكون العبدُ آتياً بعبادةِ الله بل مشركٌ، وهذا هو معنى قولِ =

= المصنِّفِ: (إنَّ العبادةَ هي التوحيدُ؛ لأن الخصومةَ فيه)[١]، وفيه معرفةُ حقِّ الله على العباد، وهو عبادتُه وحدَه لا شريكَ له.

فيا مَن حقُّ سيِّدِه الإقبالُ عليه، والتوجُّه بقلبِه إليه، لقد صانَك وشَرَّفك عن إذلال قلبِك ووجهِك لغيره؛ فما هذه الإساءَةُ القبيحةُ في معاملتِه مع هذا التشريفِ والصيانةِ؟ فهو يعظِّمُك ويَدعُوك إلى الإقبال، وأنت تأبَى إلا مُبارزتَه بقبائحِ الأفعالِ.

في بعض الآثارِ الإلهية: إنِّي والجنَّ والإنسَ في نبأٍ عظيمٍ؛ أخلُق ويُعبَدُ غيري، وأرزُقُ ويُشكَر سواي، خيري إلى العباد نازلٌ، وشرُّهم إليَّ صاعدٌ، أَتحبَّب إليهم بالنِّعَم، ويتبغَّضُون إليَّ بالمعاصي[٢].[٣] [٦٢]

[شرح٦٢] هذا من الآثار الإسرائيلية، والمعنى عظيم، ولا شك أن =

(١) سلف في الفقرة [٥٨]، ص١٧١.

(٢) انظر «شعب الإيمان» للبيهقي (٤٢٤٣).

(٣) ص٤٠-٤١.

.....

= ما بين العبد وبين ربه نبأ عظيم، وخبر عظيم، خلقهم ورزقهم، وأحسن إليهم، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول، والأدوات التي بها ينتفعون ويدفعون الضرر عن أنفسهم ويستفيدون، ومع ذلك أعرض أكثرهم عنه سبحانه، وصرفوا العبادة لغيره ﷻ، فهذا نبأ عظيم، وبعضهم أيضاً، بل أكثرهم، شكر غيره على نعمه ونسي فضله وإحسانه ﷻ.

والعبادة كما تقدم هي التوحيد؛ ولهذا قال ابن عباس في ذلك: إن العبادة هي التوحيد؛ لأن المقصود هو تخصيص الله بها، وليس المقصود أن يعبد فقط ولو لم يخص بها، لا، فالمشركون يعبدونه، ولكن يعبدون معه سواه، فالمقصود بالأمر تخصيصه بالعبادة.

أما لو كان الاشتراك يكفي فقد كانت قريش وغير قريش تعبده بنوع اشتراك، فقد كانت تعبده بالحج، وتعبده بالصدقات، وتعبده بذكره إلى غير ذلك، وتعبده أيضاً بخوفه تارة وبرجائه تارة، وتعبده في الشدائد بالإخلاص له بالعبادة والدعاء، وما نفعهم ذلك، حتى يعبدوا الله وحده في الشدة والرخاء. =

.....

= فلا بد أن تكون العبادة تامةً لله جلَّ وعلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] يعني: في كل وقت، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦] في كل وقت وفي جميع العبادات.

فليس المعنى أن تعبده وحده في الصلاة فقط، أو في الصوم فقط، ثم تشرك به فيما دون ذلك، كلا، بل أن تعبده وحده في كل شيء، في الصلاة، في الصوم، في الدعاء، في الخوف، في الرجاء، في الحج إلى غير ذلك.

فالمقصود أن العبادة هي توحيده في جميع أنواع العبادة وتخصيصه بها عن كل ما سواه ﷻ، وبهذا بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الخليقة ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [إبراهيم:٥٢] ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود] وفي حديث معاذ المتقدم: «حقّ الله على العبادِ أن يعبدُوه ولا يشرِكُوا به شيئاً».

فالمقصود من ذلك أن توجه القلوب إليه، وأن يقصد بالعبادة =

.....

= والتعظيم، والخوف والرجاء، والاعتراف بأنه مستحق للعبادة لا سواه، فلو عبده ولكن يرى أن غيره يستحق العبادة ما نفعه ذلك، فالإيمان الحق يكون بالإقرار بأنه مستحق للعبادة دون كل ما سواه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ في سورة الحج [الآية٦٢]، وكذلك في سورة لقمان [الآية٣٠]: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾.

فالحاصل أن العبادة التي بحق تكون لله وحده، وأما ما يدعون معه سواه فيدعونه بالباطل، فالمعبودون في الجاهلية كمن عبد اللات أو العزى أو مناة أو الأصنام الأخرى في أي مكان، أو المعبودون في القرون المتأخرة، كمن عَبَدَ الرسولَ أو عَبَدَ الحسينَ أو عَبَدَ البدويَّ أو عبد ابنَ عَلْوان أو عبد غير ذلك أو عبد المرسي أو عبد الشيخ عبد القادر الجيلاني أو عبد ابن عربي أو ما أشبه ذلك، كلهم عبدوا بالباطل.

فكل من عُبِد في الدنيا فقد عُبِد بالباطل، فإن المعبود بحق هو الله وحده ﷻ، ووجب على جميع المكلفين أن ينتبهوا لهذا، وأن =

.....

= يعلموا أن ربهم ﷻ هو المستحق لأن يعبدوه دون ما سواه في الشدة والرخاء جميعاً *.

* س: من يكون الشيخ عبد القادر الجيلاني؟

ج: فقيه من العلماء الحنابلة، حنبلي العقيدة من الطبقة السادسة[1]، متأخر، له تصوف، وله أعمال اجتهادية وزهد وورع، غلط بعض الجهلة من المساكين الذين ليس لهم علم ولا بصيرة فعبدوه من دون الله، ونذروا له، واستغاثوا به، وزعموا أنه يتصرف في الكون.

س: هل مجرد حفظي لآيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الثابتة عن الرسول ﷺ كافٍ في أن أجيب عن كل سؤال، أم لا بد من الرجوع إلى فهم السلف الصالح في معنى الآيات وفي معنى الأحاديث؟

ج: لا بد من الرجوع إلى كلام النبي ﷺ وكلام الصحابة وكلام أهل العلم وكلام أهل اللغة العربية، أعني كتب الغريب وكتب اللغة، ليستعين بذلك على فهم كتاب الله؛ لأن لغة الناس ليست مطابقة لكلام الله جل وعلا، فقد تغيرت اللغة وتغيرت الأحوال، ثم إن فهم الناس يختلف، فقد يغلط كثيراً. =

(١) ولد سنة ٤٧١هـ، وتوفي سنة ٥٦١هـ.

.....

= فلا بد أن يستعين في فهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ بمن قبله من أهل العلم والإيمان، وبما قاله الصحابة رضي الله عنهم في فهم كلام الله وكلام الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا أشكل عليه أيضاً كلام العلماء وكلام الصحابة رجع إلى معاجم اللغة وما ورد في الغريب، حتى يستعين بذلك على فهم ما دل عليه كتاب الله، وما جاء في السنة عن الرسول ﷺ.

وأما مجرد اعتماده على فهمه فقط فلا يجوز، فهذا سيغلط كثيراً ويسيء كثيراً.

س: ما حكم الأحاديث الإسرائيلية، والتي لا تحتوي على أسانيد ؟

ج: حدثوا عنهم ولا حرج، في بعض الآثار.

س: الحديث القدسي هو كلام الله باللفظ والمعنى أم بالمعنى فقط؟

ج: قد يكون بالمعنى وقد يكون باللفظ، لكن الغالب أن يكون بالألفاظ، وأما ما في السنة فعلى ما قاله النبي ﷺ فالأصل هو اللفظ، وأما في آثار بني إسرائيل فقد يروى بالمعنى، قد يرويه الناس بالمعنى.

س: إن ثبت، لفظاً ومعنى؟

لأن الرسول ينقله عن الله تعالى، مثل: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا...»[1]، كل هذا كلام الله نقله =

(١) أخرجه مسلم: البر والصلة (٢٥٧٧).

.....

= رسول الله ﷺ.

س: هل الأحاديث القدسية كالقرآن؟

ج: كلا، ليست كالقرآن، فالأحاديث القدسية ليست للإعجاز، ولكن للبيان والإيضاح والأحكام والتوجيه.

س: إذا كان الحديث من قول النبي ﷺ والمعنى لله كان الحديث قدسياً، وإذا كان الحديث لله معنى وقولاً صار قرآناً؟

ج: لا، ليس بلازم، القول والمعنى لله على ما جاء بالنص، وأما القرآن فقد أنزل على نبينا بالإعجاز، وإقامة الحجة على المشركين وعباد غير الله بأسلوبه الخاص، وعباراته الخاصة، وآياته الخاصة، وسوره الخاصة، فهذا هو القرآن الذي سماه الرسول بالقرآن وبلغه إلى الأمة، وأخبر أنه وحي الله وكتابه المبين المعجز والمستمر إلى تعاقب السنين، هذا الذي بلغه الرسول ﷺ للصحابة، وبلغه الصحابة لنا، والقرآن بسوره وآياته غير الأحاديث القدسية التي نقلها الرسول ﷺ.

وقد فصل النبي بينهما، فأمر بكتابة القرآن وحفظه، وأن توضع آية كذا في مكان كذا في سورة كذا، وأما ذكر الأحاديث فقد كان منتشراً متفرقاً، وفيها بعض العظات والأخبار عن الماضين وما أشبه ذلك، فهو من باب العظة والذكرى والتوجيه إلى الخير والتحذير من الشر.

۞ وكيف يَعبدُه حقَّ عبادتِه مَن صَرَف سؤالَه ودعاءَه وتَذَلُّلَه واضطرارَه وخوفَه ورجاءَه وتوكُّلَه وإنابتَه وذبحَه ونذرَه لمن لا يَملِكُ لنفسِه ضُرّاً ولا نَفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً، مِن ميتٍ رَمِيمٍ في الترابِ، أو بناءٍ مشيَّدٍ مِن القِبابِ، فضلاً مما هو شَرٌّ مِن ذلك؟!(١). [٦٣]

[شرح٦٣] هذا شرك بهؤلاء الذين هم في التراب، أو في بناء مشيد من القباب، وقد عبد هؤلاء عابدوهم بشبهة الصلاح، وأنهم من عباد الله الصالحين، فكيف بحال من كان ليس كذلك ممن يعبد صورة الأسد أو النمر أو الذئب أو ما أشبه ذلك، أو يعبد أصناماً أخرى مصورة على صورة فراعنة أو غيرهم أو ما أشبه ذلك، فإذا كان من عَبَدَ الصالحين والأنبياء قد أشرك بالله فالذي عبد الأصنام والأوثان الأخرى والتي لا صلاح لها، أولى بالشرك، نعوذ بالله.

فالمشركون أقسام كثيرة، فمنهم عباد الأنبياء، وعباد الصالحين، وعباد الأصنام، وعباد الأشجار، وعباد الكواكب والنجوم، وعباد الملائكة، إلى غير ذلك من أقسام كثيرة يجمعهم الشرك بالله ﷻ.

---

(١) ص٤١.

۞ قولُه: «وحقّ العبادِ على الله أن لا يعذبَ مَن لا يشرِكُ به شيئاً» قال الخَلْخالي: تقديره ألا يعذِّبَ مَن يعبدُه ولا يشركُ به شيئاً، والعبادةُ هي الإتيانُ بالأوامر، والانتهاءُ عن المناهي؛ لأن مجرَّدَ عدمِ الإشراكِ لا يقتضي نفيَ العذابِ، وقد عُلِم ذلك من القرآنِ والأحاديثِ الواردةِ في تهديدِ الظالمينَ والعصاةِ[1]. [٦٤]

[شرح٦٤] لماذا سُميَت هذه الأمور عبادة؟ لماذا سمي أداء الأوامر واجتناب النواهي لله وحده عبادة؟

العبادة، أي: التذلل وإتيان الأوامر، وترك النواهي لله؛ تذلل له، وتعظيم له، وخضوع له، نعم، سميت عبادة لهذا المعنى، فالوظائف التي على العباد من فعل الأوامر وترك النواهي سميت عبادة؛ لأنها تؤدى بالخضوع والذل لله ﷻ، والعرب تسمي الخضوع عبادة، والذل عبادة، يقولون: طريق مُعبَّد مذلَّل، أي: وطئته الأقدام، ويقولون: بعير مُعبَّد مذلَّل، يعني رحل وشد عليه؛ فالتعبد: التذلل والخضوع، فالعبادة فيها تذلل وخضوع لله، بفعل =

---

(١) ص٤١.

.....

= أوامره وترك نواهيه عن إيمان به وإخلاص له ﷻ.

وهكذا سمي الخلق عباداً، سمي الجن والإنس عباداً؛ لأنهم أذلاء لله في قبضته وتحت تصرفه ﷻ، فهم أذلاء في قبضة ربهم ﷻ وملكه سبحانه؛ وبهذا سمي المملوك عبداً؛ لأنه في قبضة سيده، يتصرف فيه ويأمره وينهاه؛ فسمي عبداً، والناس كلهم عبيد لله ﷻ، أحرارهم وعبيدهم، كلهم عبيد لله؛ لأنهم في ملكه وقبضته وتحت تصرفه ﷻ وأمره ونهيه ﷻ.

۞ وقال الحافظ: اقتصرَ على نفي الإشراكِ؛ لأنه يستدعي التوحيدَ بالاقتضاء، ويستدعي إثباتَ الرسالةِ باللزوم؛ إذ مَن كَذَّب رسولَ الله فقد كَذَّب اللهَ، ومن كذب الله فهو مشركٌ، وهو مثلُ قولِ القائلِ: مَن توضَّأَ صحَّت صلاتُه، أي: مع سائرِ الشروطِ؛ فالمرادُ مَن مات حالَ كونِه مؤمناً، بجميع ما يجب الإيمان به.

قلت: وسيأتي تقريرُ هذا في الباب الذي بعدَه إن شاء الله تعالى[1]. [٦٥]

[شرح٦٥] المقصود هذا: أن ما جاء من النصوص التي فيها ذكر دخول الجنة بعدم الشرك، أو دخول الجنة بالتوحيد، مراده مع التزام بقية الأمور، وليس مراده أنه من وحد الله ولم يشرك به في صلاة أو صوم أو دعاء، ثم تلطخ بالمعاصي والشرور الأخرى، فهذا موعود بالجنة والسلامة من العقاب ولو فعل ما فعل؛ بل لا بد من مراعاة النصوص الأخرى.

فمن وحد الله وترك الإشراك به فهو مسلم، وهو موعود بالجنة =

(١) ص٤١.

.....

= في الجملة ما لم يأت بأشياء تمنع من دخولها، أو توجب العذاب، فهذه الأشياء معروفة من الدين بالضرورة، وأن الرب ﷻ أوجب على عباده أشياء، ونهاهم عن أشياء، فلا يكونون مستحقين للجنة والكرامة والسلامة إلا بفعلهم ما أُمروا به، وتركهم ما نهوا عنه، مضافاً إلى توحيد الله والإخلاص له.

وقوله في الحديث الصحيح: «مَن لقي اللهَ ولم يُشرِك به شيئاً، دخل الجنة»[1] وما أشبه ذلك، وهذا مطلق، معناه مع مراعاة الحقوق الأخرى التي أوجبها الله عليه، فإذا لم يراعها ولم يؤدها فهو معرض للوعيد ومعرض للعذاب؛ ولكن من فعل التوحيد الخالص، ومن شأن أهل الإيمان الخالص أن يضيفوا إلى التوحيد الحقوق الأخرى وألا يضيعوها؛ لأن إيمانهم يدعوهم إلى ذلك.

ومن شأن من ترك الشرك دقيقه وجليله أن يكون قد أدى الحقوق؛ لأن متابعة الهوى نوع من الشرك الخفي، والذي ترك الأوامر أو بعضها، أو ارتكب بعض النواهي، ما أخلص لله =

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٩)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

.....

= الإخلاص الكامل، وما ترك الترك الكامل؛ بل قد جعل لنفسه وهواه قسطاً من العبادة؛ حيث تابع هواه في الزنى والخمر وفي كذا، فهذا نوع من الشرك الخفي، أو نوع من الأعمال التي توجب دخوله النار بسبب عصيانه، وعدم قيامه بالواجب.

الحاصل أن تحقيق التوحيد كما يأتي يتضمن هذا؛ وأن العبد لا يكون مسالماً من دخول النار ولا يكون آمناً من دخولها إلا إذا اجتهد في أداء واجب الله وترك محارم الله؛ فإن مات مُصِرّاً على بعض الكبائر، صار معرضاً للوعيد وعلى خطر من دخول النار إلا أن يعفو الله عنه؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وما دون الشرك تحت مشيئة الله ﷻ فليس آمناً مقطوعاً له بالنجاة؛ لكنه غير مخلد في النار؛ فلو دخلها لا يخلد فيها إذا مات على التوحيد الخالص وعلى ترك الشرك؛ فهو آمن من الخلود في النار؛ لكنه غير آمن من التعذيب بسبب ما مات عليه من معاصٍ غير تائب؛ لأن الله وعدهم بالعذاب فجاء في السنة وعدهم =

.....

= بالعذاب إذا مات على المعاصي؛ فينبغي أن يعلم هذا وأن يكون هذا؛ بل حتى لا يظن ظان أن مجرد توحيده لله في أي عمل من الأعمال يكفيه، وأنه يتلطخ بما شاء من معاصٍ ـ ولا يبالي ـ وأنه آمن؛ بل هو ليس بآمن؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرِقُ السارِقُ حينَ يسرِقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمرَ حين يشرَبُها وهو مؤمنٌ، ولا ينتَهِبُ نُهبَةً ذاتَ شرفٍ يرفعُ الناسُ إليه فيها أبصارَهم، حين ينتَهِبُها وهو مؤمنٌ؛ وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم»[1]، هذه أشياء تدل على ضعف الإيمان وانتفاء كماله الذي لا ينتفي معه أصل الإسلام والانتفاء من الكمال الواجب وإن كان معه أصل الإسلام.

والحاصل أن ما جاء به من وعيد في هذه المسائل كلهم يدلون على أنه لا بد من تمام الإيمان في حق الموحد، وأنه لا يتم له النجاة ولا يسلم من الخطر إلا إذا جاهد نفسه بأداء الواجبات =

(١) أخرجه البخاري: الأشربة (٥٥٧٨)، ومسلم: الإيمان (٥٧)، دون قوله: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم» وقد ورد ذلك في حديث آخر عند مسلم: الإيمان (٥٩) ولفظه: «آية المنافق ثلاث... وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم».

.....

= وترك المحارم*.

* س: هل ترك الإشراك يستدعي التوحيد لله؟

ج: ترك الشرك يقتضي توحيد الله وإخلاصه؛ لأن المقصود بترك الشرك هو توحيد الله، ولو أنه ترك الشرك فما عبد صنماً ولا وثناً ولكنه أيضاً ما عبد الله ولا خصه بالعبادة؛ بل أعرض عن الله وأعرض عن غيره فلا يكون مسلماً حتى يوحد الله، ويدعوه، ويخصه بالعبادة سبحانه، ويؤمن بإفراده وعظمته، ويؤمن بأنه ربه، والإله الحق، فنهى الله عن الشرك، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦] معناه: أنه قد استكمل التوحيد، واعترف به لله، وترك الإشراك. وترك الشرك يقتضي أن يوحد الله ويخصه بالعبادة وحده، ولا يكفي ترك الشرك بدون توحيد لله وبدون تعظيم له، ومن دون إيمان به كما جاء في النصوص الأخرى، والنصوص تفسر بعضها بعضاً ويصدق بعضها بعضاً، فالنصوص يفسر بعضها بعضاً في الإيمان بالله وتوحيده والإقرار بالشهادتين إلى غير هذا من الإسلام والإيمان، وما جاء في النصوص بالطاعات الواجبة والمعاصي المحرمة.

وهكذا يستلزم بذلك أيضاً الإيمان بالرسول ﷺ، وقوله ﷺ: «مَن مات لا يُشرِك بالله شيئاً دخلَ الجنةَ»[1] يعني: مع إيمانه بالله ورسوله، =

(١) أخرجه البخاري: الجنائز (١٢٣٧)، ومسلم: الزكاة (٩٩١)(٣٣).

.....

= والإيمان بما طلب الله رسوله، والإيمان بما جاءت به الشريعة، وهذا أمر مقطوع به لا شك فيه عند أهل العلم جميعاً، ولو أنه وحد الله وخصه بالعبادة، لا يدعو إلا إياه، ولا يصلي إلا له، ولكنه لا يؤمن برسول الله ﷺ، ولا يصدق الرسول؛ فهو كافر بالله عند أهل العلم قاطبة بنص القرآن، لأنه كذب بالله؛ فصلاته وصومه ودعاؤه لا ينفعه، حتى ولو كفر بواحد من المرسلين، فلو قال: أصلي وأصوم وأومن بكل ما جاء به الرسول ﷺ إلا نوحاً لا أومن به، كفر عند أهل العلم قاطبة؛ لأنه كذب الله بما جاء في كتابه العظيم وكذا إذا قال: لا أومن بهود أو بصالح أو بإبراهيم أو بإسماعيل أو بلوط أو ما أشبه ذلك.

فالمقصود: من كذب رسولاً فقد كذب المرسلين جميعاً؛ ولهذا قال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، وصفهم بأنهم كذبوا المرسلين وما كذبوا إلا نوحاً فمن كذب واحداً فكأنما كذب الرسل جميعاً نسأل الله السلامة.

س: ويفسر هذا قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]؟

ج: هذا فيه من المعنى، يعني: الواجب دخولهم في دين الله جميعاً كذلك قول الله: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠]، ومن هذا الباب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء:١٥١]، فمن آمن ببعض وكفر ببعض فقد كفر حقاً.

۞ قوله: (أفلا أُبَشِّر الناسَ) فيه استحبابُ بشارةِ المسلم بما يَسُرُّه، وفيه ما كان عليه الصحابةُ مِن الاستبشارِ بمثلِ هذا، نبَّه عليه المصنِّفُ.

قولُه: (قال: «لا تُبشِّرْهُم فيتَّكِلُوا»)، وفي رواية: «إنِّي أخافُ أن يتَّكِلُوا»[1] أي: يَعتمِدُوا على ذلك، فيتركُوا التنافسَ في الأعمال الصالحةِ، وفي رواية: فأَخبرَ بها معاذٌ عندَ موتِه تأثماً[2]، أي: تحرُّجاً من الإثم.

قال الوزير أبو المُظَفَّر: لم يكن يَكتُمها إلا عن جاهلٍ يحملُه جَهلُه على سوءِ الأدبِ بتركِ الخدمةِ في الطاعة؛ فأما الأكياسُ الذين إذا سَمِعُوا بمثلِ هذا اجتهدُوا في الطاعة، ورأَوا أن زيادةَ النِّعمِ تستدعي زيادةَ الطاعةِ؛ فلا وجهَ لكِتْمانِها عنهم[3]. [٦٦]

[شرح٦٦] والمقصود أن بعض الناس قد يكون ما عندهم الإيمان، =

(١) أخرجه البخاري: العلم (١٢٩).

(٢) أخرجه البخاري: العلم (١٢٨)، ومسلم: الإيمان (٣٢).

(٣) ص٤١.

.....

= وما عندهم البصيرة النافذة، إذا سمع أحاديث التبشير قد يتكل عليها، أو يترك الجد في العمل، والمنافسة في الأعمال الأخرى، فقال ﷺ لمعاذ هذا الكلام.

ثم إنه ﷺ بيَّن ذلك في أحاديث كثيرة: في حديث أبي هريرة[١]، وفي حديث عُبادة بن الصامت[٢]، وفي حديث عِتْبان[٣]، وغير ذلك، فبيَّن ﷺ أن من أتى بالتوحيد فقد وعده الله النجاة؛ فكان له الجنة على ما كان من عمل، فالله حرَّم النار على مَن قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجهَ الله. إلى غير ذلك.

فالرسول ﷺ بيَّن هذا، وأوضح للأمة جميعاً، ثم بقي لكتمانه بعد ذلك وجه، كان هذا ـ والله أعلم ـ في أول الأمر، أو لأسباب خاصة، ثم بين ذلك للأمة عليه الصلاة والسلام، وأوضح للأمة، حتى عرفوه على بيِّنة، ولم يبق هناك شبهة في هذا الباب؛ لأن =

(١) أخرجه مسلم: الإيمان (٣١).

(٢) أخرجه مسلم: الإيمان (٢٩).

(٣) أخرجه البخاري: الصلاة (٤٢٥)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٧) (٢٦٣).

.....

= المقصود هو أداء الفرائض، وترك المحارم عن إخلاصٍ لله، وعن توحيدٍ له، وعن إيمانٍ به ﷻ *.

* س: حديث: «الكَيِّسُ مَن دان نفسَه...»[1]؟

ج: المشهور فيه أنه من رواية أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، وهو ضعيف، والحديث مشهور أنه ضعيف من حيث الإسناد، إلا أنه يوجد له سند آخر؛ لكن الإسناد المعروف الذي نعرفه عند أحمد وغيره، أنه من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، وهو ضعيف؛ لكن إذا وجد له سند آخر فممكن، لكن هو بهذا الإسناد المشهور ضعيف.

(١) أخرجه الترمذي: صفة القيامة (٢٤٥٩)، وابن ماجه: الزهد (٤٢٦٠).

obeikandl.com

۞ وقال الحافظُ: دلَّ هذا على أن النهيَ عن التبشيرِ ليس على التحريمِ، وإلا لَـمَا أخبرَ به أصلاً، أو أنه ظَهَر له أن المنعَ إنما هو من الإخبارِ عموماً؛ فبادر قبلَ موتِه فأخبرَ بها خاصّاً مِن الناسِ.

وفي البابِ من الفوائدِ غيرُ ما تقدَّم:

١- التنبيهُ على عَظَمة حقِّ الوالدينِ.

٢- وتحريمُ عُقوقِهما.

٣- والحثُّ على إخلاصِ العبادةِ لله تعالى.

٤- وأنها لا تَنفَعُ مع الشركِ ؛ بل لا تُسمَّى عبادةً شرعاً.

٥- والتنبيهُ على عَظَمةِ الآياتِ المحكَماتِ في سورةِ الأنعام، ذَكَره المصنِّفُ.

٦- وجوازُ كِتْمانِ العلمِ للمصلحةِ، ولا سيَّما أحاديثِ الرجاءِ التي إذا سَمِعَها الجهّالُ ازدادوا مِن الآثامِ. كما قال =

= بعضهم:

فأَكثِرْ ما استطعتَ من الخطايا

إذا كانَ القدومُ على كريمِ[1] [٦٧]

[شرح٦٧] بعض الناس ليس عندهم تحمّل لبعض الأحاديث؛ فيُخبَر بما يناسبه ليستقيم ويحذر، بخلاف ما إذا كان من أهل العلم والبصيرة فلا يكتم عنه شيء؛ لكن بعض الناس قد لا يود أن يسمع بعض الأحاديث لجهله، وخطر إسرافه على نفسه؛ مثل مَن قد أقبل على المعاصي وانتهاك الحرمات، فهذا لا يُحدَّث بأحاديث الرجاء، والذي غلب عليه اليأس والقنوط لا يحدث بأحاديث الخوف التي تزيده شدة على شدته؛ بل ينبغي أن ينصح بأحاديث الرجاء وفضل الله الواسع؛ حتى يلين، وحتى يرجوَ رحمة الله ﷻ، وحتى لا يقنط ولا ييأس؛ لأن كل مقام له مقال.

وينبغي للواعظ والمذكِّر ونحو ذلك في المقامات الخاصة والمجتمعات الخاصة أن يلاحظ المجتمعين وما يناسبهم مما يعينهم على طاعة الله، ويحذرهم من الوقوع في محارم الله، فيحدث كل =

---

(١) ص٤١-٤٢.

.....

= مجتمع أو كل شخص بما يليق به ويناسبه حسب حاله؛ حتى تكون الموعظة في محلها*.

* س: هناك أحاديث تنقل في فضل علي عند الرافضة ويغتر بها بعض الناس؟

ج: هذا ليس على إطلاقه، ويبين للرافضة أن أهل السنة منصفون، ويبين لهم الأحاديث الصحيحة في علي، فليس فيها شبهة، أما الأحاديث المكذوبة التي لا أساس لها هي التي تغر الناس؛ فيبين في هذه الحال للرافضة وأشباههم الأشياء التي تنفعهم، وربما هداهم الله بها.

س: والجهال الذين لا يفهمون معنى الحديث؟

ج: على كل حال يخاطبون بما يناسبهم ولا يفرض عليهم بالكلية حتى يقولوا: إن هذا من جهلهم وعدم إنصافهم لعلي، وظلمهم له.

س: الإنسان قد يقتنع بمسألة من المسائل ويرى الناس مخالفين لهذه السنة، ويخشى من ظهورها، وفي المقابل هي الموافقة من الكتاب والسنة وما عداه فمن المخالفات؟

ج: ينصح بها إخوانه بالطرق التي يراها مفيدة سواء كانت النصيحة بالإفراد أو بالجماعة، إلا إذا كان يحصل منها شرٌّ عليه أو فتنة أو كذا، فينظر =

.....

= الطرق التي يستشير فيها إخوانه، والطرق التي ينبغي إفشاؤها، والطريق التي يحصل بها المقصود لإيضاح هذه السنة.

obeikandl.com

۞ ٧- وتخصيصُ بعضِ الناسِ بالعلمِ دونَ بعضٍ.

٨- وفضيلةُ معاذٍ، ومنزلتُه من العلم؛ لكونه خُصَّ بما ذُكِر.

٩- واستئذانُ المتعلِّم في إشاعةِ ما خُصَّ به من العلمِ.

١٠- والخوفُ مِن الاتِّكالِ على سَعَةِ رحمةِ الله.

١١- وأن الصحابة لا يعرفون مثلَ هذا إلا بتعليمِه ﷺ، ذَكَره المصنِّفُ.

قوله: (أخرجاه في «الصحيحين») أي: أخرجه البخاري ومسلم في «صحيحيهما»، وإنما أضمرهما للعلم بهما.

والبخاريُّ هو الإمامُ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الجُعفِيُّ، مولاهُم، الحافظُ الكبيرُ، صاحب «الصحيح» و«التاريخ» و«الأدب المفرد»، وغيرِ ذلك من مُصنَّفاته.

روى عن الإمام أحمدَ بنِ حنبل، والحُميدِيِّ، وابنِ المَدِينيِّ، وطبقَتِهم.

وروى عنه مسلمٌ، والترمذيُّ، والنَّسَائيُّ، والفِرَبرِيُّ =

= راوي «الصحيح»، وغيرُهم.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئةٍ، ومات سنةَ سِتٍّ وخمسينَ ومئتين[1]. [٦٨]

[شرح٦٨] لم يرو عنه مسلم رحمه الله في «الصحيح»، إنما روى عنه في غير «الصحيح»، ولعله أراد بذلك فائدة، وهي أن الحديث الذي يرويه مع ما يرويه البخاري يكون مِن طريقين؛ لأنه لو رواه من طريقه فقط لصار طريقاً واحداً، فأراد أن يستفيد الناس طريقاً آخر، فروى الحديث من غير طريق البخاري رحمه الله، بل من الطرق الأخرى، حتى يتوفر في الحديث الذي روياه سندان فأكثر.

أما لو أنه روى من طريق محمد بن إسماعيل، لكان الحديث الذي رواه البخاري، والحديث الذي رواه مسلم، إنما يكونان بطريق واحد، وهو طريق البخاري رحمه الله، لكننا استفدنا بعمل مسلم طريقاً آخر فأكثر؛ لأنه رواه من طريق شيوخ آخرين غير طريق البخاري رحمه الله.

---

(١) ص٤٢.

۞ ومسلمٌ هو ابنُ الحَجّاج بنِ مُسلِمٍ أبو الحسينِ القُشَيرِيُّ النَّيسابوريُّ، صاحب «الصحيح» و«العلل» و«الوُحْدان» وغيرِ ذلك[1]. [٦٩]

[شرح٦٩] «الوُحْدان» كتاب صغير لمسلم فيمن لم يرو عنه إلا واحد. وما رأيته، لكنه ذكره.

وكل كتب البخاري ومسلم ليست على شرط الصحيح ما عدا «الصحيحين»، فللبخاري كتب كثيرة مثل: «الأدب المفرد» و«التاريخ» و«خلق أفعال العباد» ليست على شرط الصحيح.

فـ«الجامع الصحيح» له شروط خاصة، وهكذا مسلم ـ رحمه الله ـ له كتب أخرى، لكنه لم يلتزم فيها بالصحة، إنما التزم بالصحة في «الصحيح» فقط.

---

(١) ص٤٢.

obeikandl.com

۞ رَوَى عن أحمدَ بنِ حنبلٍ، ويحيى بنِ مَعينٍ، وأبي خَيْثمةَ، وابنِ أبي شيبةَ، وطبقتِهم.

روى عنه الترمذيُّ، وإبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سفيانَ راوي «الصحيح»، وغيرُهم.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ ومئتين، ومات سنةَ إحدى وستين ومئتين بنَيسابورَ، رحمه الله تعالى.

obeikandl.com